

روح المعاني

وقتل نفسا هي نفس القطبي واسمه قانون الذي استغاثه عليه الاسرائيلي واسمه موسى بن طفر وهو السامري وكان سنه عليه السلام حين قتل على ما في البحر اثنى عشرة سنة وفي الخبر عن الحبر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه عليه السلام حين قتل القطبي كان من الرجال وكان قتله إياه بالوكز كما يدل عليه قوله تعالى : فوكزه موسى فقضى عليه وكان المراد وقتلت نفسها فاصابك غم فنجيناك من الغم وهو الغم الناشئ من القتل وقد حصل له من وجهين خوف عقاب الله تعالى حيث لم يقع القتل بامرہ سبحانه وخوف اقتصاص فرعون وقد نجاه الله تعالى من ذلك بالمغفرة حين قال : رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وبالمهاجرة إلى مدين وقيل : هو غم التابوت وقيل : غم البحر وكلا القولين ليس بشئ والغم في الأصل ستر الشئ ومنه الغمام لستره ضوء الشمس ويقال : لما يغم القلب بسبب خوف أو فوات مقصود وفرق بينه وبين الهم بأنه من أمر ماض والهم من أمر مستقبل وظاهر كلام كثير عدم الفرق وشمول كل لما يكون من أمر ماض وأمر مستقبل وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء على أن فتونا مصدر على فعول في المتعدى كالثبور والشكور والكفور والأكثر في هذا الوزن أن يكون مصدر اللازم أو فتونا من الابتلاء على أنه جمع فتن كالظنون جمع ظن أو جمع فتنة على ترك الاعتداد بالتاء لأنها في حكم الانفصال كما قالوا في حوز جمع حزة وبدور جمع بدرة ونظم الابتلاء في سلك المنن قيل : باعتبار أن المراد ابتليناك واختبرناك بايقاعك في المحن وتخليصك منها وقيل : أن المعنى أوقعناك في المحنة وهو ما يشق على الانسان ونظم ذلك في ذلك السلك باعتبار أنه موجب للثواب فيكون من قبيل النعم وليس بشئ وقيل : أن فتناك بمعنى خلصناك من قولهم : فتنن الذهب بالنار إذا خلصته بها من الغش ولا يخفى حسنه والمراد سواء اعتبر الفتون مصدرا أو جمعا خلصناك مرة بعد أخرى وهو ظاهر على اعتبار الجمعية وأما على اعتبار المصدرية فلاقتضاء السياق ذلك وهذا اجمال ما ناله عليه السلام في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشى راجلا وفقد الزاد .

وقد روى جماعة أن سعيد بن جبیر سأل ابن عباس عن الفتون فقال له : استأنف النهار يا ابن جبیر فان لها خبرا طويلا فلما أصبح غدا عليه فاخذ ابن عباس يذكر ذلك فذكر قصة فرعون وقتله اولاد بنى اسرائيل ثم قصة القاء موسى عليه السلام في اليم والتقاط آل فرعون إياه وامتناعه من الارنضاع من الاجانب وارجاعه إلى أمه ثم قصة اخذه بلحية فرعون وغضب فرعون من ذلك وارادته قتله ووضع الجمره والجوهره بين يديه واخذه الجمره ثم قصة قتله القطبي ثم هربه إلى مدين وصيرورته اجبيرا لشعيب عليه السلام ثم عوده إلى مصر واخطاء الطريق في الليلة

المظلمة وتفرق غنمه فيها وكان رضى الله تعالى عنه عند تمام كل واحدة يقول هذه من الفتون يا ابن جبير ولكن قيل : الذى يقتضيه النظم الكريم أن لا يعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام إلى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى : فلبثت سنين في أهل مدين إذ لا ريب في أن الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله إلى جميع ما قساه عليه السلام